مسار مصطلح النسوية في الأدب والنقد
The term feminism in literature and criticism

أ(ة).شريفة مختيش
جامعة جيجل–الجزائر

ملخص:

موضوع هذا المقال الموسوم (مسار النسوية في –الأدب والنقد–النسوي)، هو محاولة منا لقراءة الخطاب النسائي قراءة وصفية، ومحاصرته من زاويتين (الأدب والنقد). حيث يتعلق المستوى الأول من الدراسة بمتابعة مسار مصطلح النسوية في الأدب، من خلال مساءلة اللغة، وما يترتب عليها من خصوصية الكتابة الأنثوية، أما فيما يخص المستوى الثاني فإنه يدور حول إشكالية العلاقة القائمة بين مصطلح النسوية واستراتيجية الخطاب في النقد النسوي.

الكلمات المفتاحية: النسوية، الأدب، النقد، الكتابة الأنثوية.

Abstract :

In this paper We try to make a description to the feminist discourse from two views: literature and criticism. First, we will deal with the linguistic development of the term feminism in literature and its impact on the feminist literature and then we will tackle the relation between the term feminism and the strategy of the discourse in the feminist criticism.

Key words: feminism, literature, criticism, feminist writing

مقدمة:

كان من شأن دراسة مصطلح النسوية الدخول في مناقشات متعددة، يدور أغلبها حول محورين (الأدب والنقد)، ولهذا تعلق المستوى الأول من الدراسة بمتابعة مسار مصطلح النسوية في الأدب، من خلال مساءلة اللغة، وما يترتب عليها من خصوصية الكتابة الأنثوية، أما فيما يخص المستوى الثاني فإنه يدور حول إشكالية العلاقة القائمة بين مصطلح النسوية واستراتيجية الخطاب في النقد النسوي.

وسنعتمد في هذه الدراسة على أبحاث ودراسات غربية وأخرى عربية، ومن هذه الدراسات ما جاء في كتاب "ماري ايجيلتون" (النظرية الأدبية النسائية)، وكتاب "جانيت تود"(دفاعا عن تاريخ الأدب النسوي)، و"فرجينيا ولف" و"كيت ميليت" و"شووالتر"، وغيرهن ممن ساهمن في بلورة النظرية النسوية، وهي الدراسات التي تنتهي في مجملها بتعريف النص النسوي بأنه ذلك النص الذي يعبر عن التجربة الخاصة، التي تعكس واقع حياة المرأة، ويتيح المجال الأوسع لتعبير ذاتي ومباشر، غير مقيد بالمفاهيم التقليدية، ولا يلقي بالا لمعايير الرجل.

ولمقاربة حيوية هذين المسارين كان لابد من خطة للدراسة، ولكن بعد طرح الإشكالية، وهي: هل كل أدب تكتبه المرأة يعد أدبا نسائيا؟، وكل نقد تقوم به المرأة يعد أيضا نقدا نسويا؟

المبحث الأول: مسار مصطلح النسوية في الأدب.

1-تحديد المصطلح(الأدبي) للنسوية:

ينبغي في البداية أن نقف عند مصطلح الكتابة النسوية أو النسائية، لتحديد ماهيته بل الخوض في طرح اشكالياته بين الرفض والقبول عند النقاد والأدباء، فبالرغم من تداول هذا المصطلح إلى أنه مازال غامضا ومبهما، إن الكتابة النسوية عند البعض تشير إلى أن يكون النص الإبداعي مرتبطا بطرح قضية المرأة، والدفاع عن حقوقها دون ارتباط بكون الكاتبة امرأة، وعند فريق آخر مصطلح يستشف منه افتراض جوهر محدد لتلك الكتابة، بتمايز بينها وبين كتابة الرجل، في الوقت الذي يرفض الكثيرون فيه احتمال وجود كتابة مغايرة تنجزها المرأة العربية، استحياء لذاتها وشروطها ووضعها المقهور، أما الفريق الثالث فيرى أنه الأدب المرتبط بحركة تحرير المرأة وحرية المرأة، وبصراع المرأة الطويل التاريخي للمساواة بالرجل.[1] بينما تنظر المراجع الأجنبية إلى أدب المرأة من خلال ثلاثة مداخل: الأدب الذي تكتبه المرأة، الأدب الذي يكتب عن المرأة، أو الأدب الذي تقرأه المرأة، وبهذا يختلف مفهوم أدب المرأة طبقا للمنظور الذي ننظر إليه من خلاله، ولكن وحسب النظرية النسائية، فإن كل منظور من الثلاثة محدود للغاية، ولا يكفي وحده لاستيعاب كل ما يستطيع أدب المرأة أن يقدمه من رؤى مختلفة.

[1] أحلام معمري: إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة، ص70.

2-المسار التاريخي لمصطلح النسوية:

وقد شهدت الأدبية النسوية بعض الإسقاطات التاريخية، والتي نتجت عنها الصيغ الآتية:

أ-الماقبل قراءة الهامش: تكتب هذه المصطلحات الثلاث(الماقبل-قراءة-الهامش) تماشيا مع الإسقاطات التاريخية التي عرفتها الأدبية النسوية، ونتجت عنها هذه الصيغ:

-كتابة المؤنث:

وهي مرحلة المحاكاة للأشكال الأدبية السائدة وتقاليدها المهيمنة، بحيث يستدل عن هوية النص من جنسيته ضمير المؤنث، المتنامي بالموازاة مع حركة تنامي الخط الشعري-السردي في نسيج النص، كونه هوية أدبية جديدة، تريد إحداث موقعية جديدة على مستوى النظرية الجنوسية.

- الكتابة النسوية:

وهي مرحلة الاعتراض والاحتجاج على هذه التقاليد والقيم، وتأتي هذه النوعية من الكتابة بمعنى الإحالة على الآخر، بوصفه ذاتا خلاقة، لأن هذا

المصطلح يقدم المرأة والإطار المحيط بها المادي والبشري، والعرفي والاعتباري في حالة حركة وجدل.[1]

- الأنثوي أو النسائي:

وهي مرحلة اكتشاف الذات، يحيل على علائق المتخيل الأيروسي، أو أثر سلطة اللذة في القارئ، وينتج إثر تفاعله مع جسد لغة النص، المتحدد بكينونته الأدبية الأنثوية الاغرائية.

ب- المابعد هامش القراءة:

اتجهت مقاومة الوسط الثقافي العربي لمصطلح الكتابة النسوية إلى تشتت المصطلح وبعثرته، نتيجة القصور في الوعي المفهومي والمعرفي للمصطلح، في مقابل مقاومة المرأة/الكاتبة للمصطلح النسوي، لأنها ببساطة تريد أن تخرج من حصار الفئة الموصوفة بجنسها إلى فضاء، مع أنها تدرك في قرارة وعيها أن ذلك لن يتحقق إلا لفظيا، وأنها محكومة بحتمية شرط جنسها، وتزداد مقاومة لتصنيف نتاجها الأدبي والذهني بأنه نسوي.[2]

---

[1] علي دوغمان: الكتابة النسوية بين التوقيع الجنسي والبحث عن هوية جنوسية، www. Seminaire ecriture.، ص7.

[2] علي دوغمان: المرجع السابق، ص7.

ج-البين بين:

إن شرط توقر وعي المرأة/الكاتبة بذاتها وبوجودها هو الشرط نفسه الذي سوف يعيق تحديد مفهوم الكتابة النسائية، والسبب أن هناك نساء كثيرات كتبن بقلم الرجل وبلغته وعقليته، إنهن نساء استرجلن، وبذلك كان دورهن دورا عكسيا، إذ عزز قيم الفحولة في اللغة، من هنا تصبح كتابة المرأة اليوم ليست مجرد عمل فردي من حيث التأليف أو من حيث النوع، إنها بالضرورة صوت جماعي، فالمؤلف هنا وكذلك اللغة هما وجودان ثقافيان، فيهما تظهر المرأة بوصفها جنسا بشريا، ويظهر النص بوصفه جنسا لغويا.[1]

3-الموقف الرافض لمصطلح الكتابة النسوية:

ما تزال الكتابة النسائية أو الأدب النسائي مصطلحا غير ثابت ولا مستقر، بما يثيره من اعتراضات، وما يسجل حوله من تحفظات، فترفض "خالدة سعيد" مصطلح "الإبداع النسائي"، من منطلق كون التسمية تتضمن الهامشية مقابل مركزية مفترضة، هي مركزية الأدب الذكوري، فترى أنه مصطلح شديد العمومية وشديد الغموض، وهو من التسميات الكثيرة التي تشيع بلا تدقيق.[2]

---

[1] نفسه، ص10.

[2] نفسه، ص70.

وتذهب الناقدة السورية "سمية درويش" إلى حد اعتبار أن تعبير الكتابة النسائية أقرب ما يكون إلى الكلام الدارج أو الخطأ الشائع[1].

أما الناقد "حسام الخطيب" فيتأرجح موقفه بين القبول المشروط والرفض الزمني التاريخي، ذلك أن قبول هذا المصطلح قد ينسجم مع سياق معالجة الأشياء، وإنما تصبح المسألة مرتبطة بكل كاتب ومبدع، استطاع أن يعالج القضايا الخاصة بالمرأة في إنتاجه الإبداعي(رجل أو امرأة)، وبهذا المفهوم فإنّ "الأدب النسائي" لا يعني بالضرورة أن امرأة تكتبه، بل أن موضوعه نسائي.[2]

ولا تؤمن الكاتبة الجزائرية "أحلام مستغانمي" بالأدب النسائي، وتقول في هذا: "أنا لا أؤمن بالأدب النسائي، وعندما أقرأ كتابا لا أسأل نفسي بالدرجة الأولى من الذي كتبه رجل أم امرأة".[3]

وتعتبر الأديبة السورية "غادة السمان" مجرد الخوض في المفهوم يعد حوار عقيما، فهي ترى أنه من حيث المبدأ ليس هناك تصنيف لأدبين نسائي ورجالي.[4]

---

[1] علي دوغمان: المرجع السابق، ص 72، 76.

[2] نفسه، ص 72، 76.

[3] نفسه، ص 72، 76.

[4] نفسه، ص 72، 76.

4-الموقف المؤيد للكتابة النسائية:

أما الموقف المؤيد للكتابة النسوية فيظهر لدى بعض الكاتبات في ضوء قيمته الانسانية والابداعية، التي لا تعني بأي حال دونية كما يعبر عنها البعض، وهو ما تعبر عنه "حمدة خميس" بقولها: "إن أدب المرأة واقعا ومصطلحا ينبغي أن يكون مصدر اعتزاز المرأة والمجتمع والنقاد، إذ إنه يصحح مفهوم الأدب الإنساني، الذي يؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق ذاته، كما أنه يضيف إلى الأدب السائد لغة وليدة، وهو أيضا خطاب نهوض وتنوير"[1]

ويجيء التأييد للكتابة النسوية مشروطا بضرورة القراءات التطبيقية، لبناء نظرية ثقافية نسوية، حيث تصف "بثينة شعبان" العمل الروائي النسوي بأنه: "يعبر عن مدى وعي المرأة لأبعاد العلاقات الاجتماعية وجذورها، والمغزى البعيد للحدث السياسي، وتتابع حديثها قائلة: "علينا أن نبدأ بتحديد سمات الأدب النسائي العربي من خلال دراسة هذا الأدب دراسة جادة ومعمقة، حينئذ قد تشعر جل الكاتبات بالفخر، لإلحاق صفة نسائي بكتاباتهن."[2]

ومنذ أكثر من خمسة عقود من الزمن والساحة العربية تعج بكتابات نسائية لا بأس بها، سواء على مستوى الكم أو الكيف، هذه الأخيرة التي تنوعت بين كتب

[1] نفسه، ص 72، 76.

[2] علي دوغمان: المرجع السابق، ص 72، 76.

قصصية وروائية، ودواوين شعرية ومقالات صحفية، وغيرها من التأليفات النسائية التي عززت مكانة المرأة بصوتها الأنثوي، في عالم يهيمن عليه الصوت الذكوري.

إن شواهد التاريخ وشهاداته تشير إلى حق أصلي أنثوي من جهة، وإلى استلاب مستمر وجماعي من جهة ثانية، وتؤكد شهادات النساء أنفسهن على أن الديانات السماوية قد أكرمت المرأة وأعطتها حقها، غير أن الثقافة والتاريخ قد بخسناها هذا الحق.[1]

وحين تكتب المرأة فإن لها دوافعها الخاصة والملحة، ومنها مقاومة الخطاب الذكوري السائد، ومحاولة الإفلات من الثوابت والمحددات التي تعاني منها، كما أنها تتخذ الكتابة وسيلة لحل مشكلاتها مع الرجل، وهي أيضا نوعا من المقاومة ضد القهر الاجتماعي، المتمثل في الأعراض التي تميز بين الذكر والأنثى، ولهذا تحولت كتاباتهن إلى نوع من الانقلاب على المجتمع وموروثاته، لقد تمكنت الكاتبة العربية أن تنجح في تحويل أسئلة الراهن المرتبطة بشخصها وقلقها وكينونتها الاجتماعية إلى أنضج وأخصب مظاهر السرد في الأدب العربي الحديث، ومن هذه الأسماء اللامعة نذكر منها: حنان الشيخ وهدية حسين، أحلام مستغانمي ونوال السعداوي، فحققن حضورا كميا وكيفيا في عالم الإبداع، ومع ذلك تعرضت المرأة وإبداعها إلى تهميش، لذا فمن الطبيعي أن نجد المرأة العربية الكاتبة تقف

[1] نفسه، ص 72، 76.

في وجه تأصيل مصطلح(الأدب النسوي)، لإحساسها بأن هذا المصطلح سيلعب دورا في إعلاء الأعمال النسائية، التي كانت توضع في الدرجة الثانية من الإبداع.

لا زالت قضية بروز الروح الأنثوية في الكتابة النسائية من أكثر القضايا جدلا في موضوع كتابة المرأة، ولازال السؤال يطرح، وهو: هل بالفعل تملك المرأة لغة خاصة بها في الكتابة تتميز بها عن لغة الرجل؟، وهل نستطيع أن نميز أسلوب المرأة عن أسلوب الرجل في الكتابة؟.

ترى "موريل موي" أن "جوليا كريستيفا" لا تتبنى أي نظرية عن التأنيث في اللغة ولا عن الأنوثة، كما أقرت الكاتبة "هيلين سيكسو" بوجود كاتبات تحمل بصمات الأنوثة، مثل كتابات "جان جينيه"، وتؤكد أنه لا ينبغي الخلط بين جنس الكاتب وجنس النص، وفي مقام آخر تصف النص النسائي بأنه نص لا ينتهي، نص يبدأ من كل النواحي في آن واحد، وتقترب لغته من لغة اللاشعور، وتصف "سيكسو" الكتابة الأنثوية بأنها تعليقات عفوية، تتحول لتكون دعاء غنائيا من الرابطة الجوهرية بين الكتابة الأنثوية والأم، الصوت الذي يسمع في نصوص الأنثى."[1]

أما "لوس اريغاري" فتشير إلى أن المرأة أقدر من الرجل في الكتابة الصوفية، وذلك لأنها(الصوفية) تجربة فقد الذات، فيها احتفاء التقابل بين الذات والموضوع، لذلك تبدو ذات إغراء خاص للمرأة التي تحمل ذاتا منكرة ومقموعة في

[1] علي دوغمان: المرجع السابق، ص 12.

الخطاب الأبوي، وتجد "اريغاري" أيضا في كلام المرأة عفوية واضحة، وهي تعرف أسلوب النساء بارتباطه الحميم بالتدفق واللمس.[1]

أما الناقدة العربية "يمنى العيد" فإن لها نظرة خاصة إلى أدب المرأة، الذي ترى أنه يتميز بخصوصية ما، وإن بدت خصوصية غير طبيعية أو ثابتة، بل هي ظاهرة تجد أساسها في الواقع الاجتماعي التاريخي الذي عاشته المرأة.[2]

ولا تبتعد نظرة "ايليا حريق" كثيرا عن نظرة العيد، إذ لا يرى أي خصوصية فنية في كتابة المرأة تميزها عن كتابة الرجل، إلا فيما يتعلق بواقعهن الاجتماعي، حيث تبدو ميزتهن الخاصة في صدق وعمق التعبير عن معالجة الحالات النسائية، والعلاقات العائلية.[3]

أما عدا ذلك فهو كما يقول "ايليا حريق" لم يشعر يوما بأي روح نسائية مميزة في الكتابة، يقول: "إني أستغرب كثيرا المقولة بأن المرأة تتأثر بخصوصيتها الفيزيولوجية عندما تكتب، فإني شخصيا قرأت لنساء عديدات ولم أعرف أن الكاتب امرأة، أي أني لم أكن أقرأ وأنا أشعر بأنني في حالة خاصة، إنا المرأة في رأيي كالكاتب الرجل تماما، تبغي الخلق والفن والتعبير عن الذات، ولا فرق بينها وبين

---

[1] عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، بيروت، 2006، ص16.

[2] فاطمة بنت فيصل العتيبي: السرديات النسوية–دراسة تطبيقية على روايات رجاء عالم–رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود بالرياض، السعودية، 2009، ص12–13.

[3] نفسه، ص13.

الرجل في نظري كقارئ، وهذا لا يعني نفي ذاتية المرأة أو التنكر لها، إنما ينفي أن يكون للجنس دور يذكر في عملية الخلق الفني"[1]

هذا الرفض التام للتصنيف الجنسي للأدب يبرز كثيرا لدى الكاتبة "غادة السمان"، التي ترى أنه:(من حيث المبدأ ليس هناك تصنيف لأدبين نسائي ورجالي، وإن كانت تشير في موضع آخر إلى خصوصية "البطلة" في الأدب النسائي، تقول: "لدينا في نتاجهن دوما بطلة، دوما متوترة، دوما تطالب بحقوقها...دوما تكتب عن تجاربها"[2]

أما "كارمن البستاني" فإنها تجد لدى المرأة صياغة في الكتابة تختلف تماما عن صياغة الرجل، وتعيد أسباب هذا الاختلاف إلى أنه ليس لنا نحن والرجل الماضي نفسه، ولا الثقافة نفسها ولا التجربة نفسها، فكيف يكون لنا والحالة هذه التفكير نفسه والأسلوب نفسه؟، ذلك أن المرأة تكتب بشكل متميز عن الرجل، لاسيما بعد أن تطورت العادات والتقاليد بفضل النضال النسوي، حيث أنه لم يعد ينظر إلى هذه الخصوصية في أسلوب الكتابة على أنها تعبير عن دونية ومحدودية، بل جرى التعامل معها كحق من حقوق المرأة في التمايز.[3]

---

[1] فاطمة بنت فيصل العتيبي: المرجع السابق، ص 14.

[2] حسام الخطيب: الرواية النسائية في سورية، مجلة المعرفة، ع166، كانون الأول، 1975، ص 80.

[3] نفسه، ص 81.

وعلى الرغم من أننا نسوق هذه الأسماء على سبيل المثال لا الحصر، إلا أنها تمثل نموذجا لعدد لا يستهان به من الأسماء التي اهتمت بالكتابة النسائية ومدى خصوصيتها، ويتجلى لنا مما سبق كيف اختلفت اتجاهات النقاد العرب، بل والغربيين أيضا في محاولة لتحديد خصوصية المرأة في الكتابة، حيث انقسموا حيال ذلك إلى ثلاثة فئات: فئة رأت أن للكتابة النسائية خصوصية تميزها عن كتابة الرجل، ورأت أخرى أن الكتابة النسائية لا تحمل أي خصوصية تميزها عن الكتابة الذكورية، فليس هناك أدب ذكوري أو أدب نسائي، بل هناك عملية خلق فني فحسب بغض النظر عن خالقه، أما الفئة الثالثة فقد اعترفت بوجود خصوصية نسائية في الكتابة، ولكن فقط في الموضوعات التي تتعلق بالمرأة.[1]

وفي تقسيم أجراه "صبري حافظ" عبر أمثلة من الكتابات النسائية، أن خصوصية كتابة المرأة تبرز عبر مراحلها المختلفة، بدءا بمرحلة "الاستقطاب"، حيث تتبنى الكاتبة مقولات الخطاب الرجالي، وكل تصورات المجتمع الأبوي، ثم مرحلة "التمرد"، حيث تلح الكاتبة على فكرة الصراع بين الجنسين، وتسعى إلى قلب الموازين للتخلص من سطوة الرجل، ثم مرحلة "الثقة"، حيث تتخطى الكاتبة فكرة الصراع بين الرجل والمرأة، وتركز انتباهها على تحدي المسلمات، والأفكار الخاطئة عن الأنوثة والذكور.[2]

[1] فاطمة بنت فيصل العتيبي: السرديات النسوية، (مرجع سابق)، ص15.
[2] نفسه، 15.

وكان من الطبيعي ونتيجة لذلك التأصيل الثقافي المنحاز ضد الأنوثة، أن اندفعت المرأة إلى الكتابة بوصفها النقطة الأقوى للانبثاق والتحول، وتحقيق الذات والوجود، وفي هذا الشأن يقول عبد الله الغذامي: "إذ ليس للكينونة عندئذ إلا أن تتولد من الكتابة، وهي حالة الولوج إلى لغة(الاختلاف) والانبثاق من الصمت، أو لنقل إنها انفجار السكون.[1]

ج-الخطاب الأنثوي والآخر:

تسعى النسويات إلى اكتشاف جنوسية السرد من خلال تحليل الخطاب، وإحالته إلى المرجعية الجنوسية، وترى "مارجريت" أن على النساء الكاتبات أن يتعاضدن في سبيل مقاومة الخطاب الذكوري، الذي دأب منذ قرون على تهميش المرأة وبقائها في دائرة الضعف، تحت طائلة ثقافة تعلي من قيم الذكور وتدني من قيم الإناث.[2]

بل تمضي بعض النسويات في فكرتهن الجنوسية، ويطالبن بأن يكون كل ما تكتبه المرأة خطابا سياسيا، يهدف إلى رفع الظلم عن فئة النساء، تماما مثل خطاب الأقليات السود، وعلى رأسهن "فرجينيا وولف" في كتابها (غرفة خاصة

[1] صبري حافظ: صورة الرجل في روايات المرأة العربية، دار المرأة العربية للنشر، بيروت 1996، ص211.

[2]– نفسه، ص 53.

بالمرء وحده) الصادر عام 1992، والتي تراجعت عن تطرفها الأنثوي فيما بعد، وأصبحت ترفض فكرة الأنوثة المطلقة.[1]

كما تصف الناقدة الاجتماعية اللغوية "روبين ليكوف" لغة النساء بأنها أدنى من لغة الرجل، لأنها تتضمن أنماط ضعف وعدم يقين، وتركز على التافه والطائش والهازل، وتؤكد الاستجابات الانفعالية الذاتية.[2]

بينما تعترض النسويات على وصف هذه السمات بأنها سمات ضعف، إذ يرين أن هذه السمات خصائص أنثوية مرجعها جنوسي، وتذهب "إلين شووالتر" إلى أن هناك اختلافا عميقا بين ما تكتبه المرأة وما يكتبه الرجل، عطفا على الاختلاف الجنوسي، وتخالفها "ماري إلمان" في أن الاختلاف ناتج عن استخدام المرأة لأساليب أدبية، قائمة على رفض الأحكام القاطعة وعدم الوصول إلى نتائج.[3]

ويتحقق ذلك عن طريق تبادل المراكز، بحيث تنحت المرأة لغتها الخاصة من تجربتها الخاصة، كما هو الحال في وصف أحلام مستغانمي بأنها تمتلك هذا الوعي وهذه القدرة، لذلك جاءت روايتها ذاكرة الجسد مميزة وفاتحة لعهد جديد في

---

[1] – فاطمة بنت فيصل العتيبي: السرديات النسوية، ص18.

[2] مجاهد عبد المنعم مجاهد: جدل النقد وعلم الجمال، ج1، دار الثقافة، القاهرة، 1990، ص197.

[3] نفس المرجع، ص197.

كتابة المرأة العربية، بينما تختلف "روبين ليكوف" مع هذه الرؤية، إذ ترى أن خطاب القوة ليس للرجل فقط، وإن على المرأة أن تنافس الرجال وتكتب مثلما يكتبون.[1]

بحيث تمتلك المرأة الكاتبة الوعي بأنوثة اللغة، لكن هذا لم يكتمل، حيث تحتاج اللغة المؤنثة إلى ذاكرة مؤنثة متخلصة مما ورثها إياه الرجل طويلا، وهي بحاجة إلى نضال طويل ضد السلطة الذكورية، والفحولة التي سرقت من اللغة أصلها المؤنث.[2]

إن مصطلح الأنوثة يكسب المرأة الكاتبة نوعا من الخصوصية، إلى جانب إدراكها بأنها تنتمي إلى فئة اجتماعية عاشت ظروفها التاريخية، وقد جعل ذلك المرأة تتمركز حول أناها، والبحث عن الحرية[3]، وتطالب بموقعها داخل اللغة، وبدور اللغة في تشكيل رؤيا المرأة للعالم، لكن الطابع الذكوري للغة وحده من يحول بين المرأة، لأنها تحدد مسبقا موقع المرأة، ووظائفها داخل المجتمع، أي أنه

[1] فاطمة بنت فيصل العتيبي: السرديات النسوية، ص20.

[2] عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير–من البنيوية إلى التشريحية–قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، ط2، القاهرة، الكويت، دار سعاد الصباح، 1993، ص181.

[3] رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة، دار أفريقيا الشرق، المغرب 1994، ص121.

قبل وضع القوانين التي تسعف الرجل في تدجين وتسييج حضور وإيقاع المرأة ككائن، فإن اللغة تقدم له بشكل أولي ما يرنو إليه.[1]

المطلب الثاني: مسار مصطلح النسوية في النقد.

يعد النقد النسوي اتجاه معاصر بدأ في الستينيات من القرن العشرين في الولايات المتحدة، وله جناحان في كل من "إنجلترا" و"فرنسا"، وهو عبارة عن ممارسة بحثية تنتهي بالتحليل الدقيق والمحكم للنصوص الأدبية من وجهة نظر نسوية، وإذا كان النقد النسوي يدين في ظهوره لأحد، فإنما يدين لاثنين هما: الروائية الإنجليزية "فرجيينيا وولف"(1882-1941)، والأديبة الفرنسية "سيمون دي بوفوار" (1908-1986)، فهما تمثلان تحديا في تصميمه على النقد الاجتماعي لوضع المرأة، وتحليل محاولة النساء الكتابة في داخل ثقافة يهيمن عليها الرجال وتطور الجماليات الأنثوية، وكيف أن الكتابة من تأليف النساء تظهر خطابا متميزا.[2]

لا بد من الإقرار بأن "فرجيينيا وولف" صاحبة كتاب aroom of ones own، هي رائدة مهمة في النقد النسوي، آمنت أنه كان على النساء دائما مواجهة العوائق الاجتماعية والاقتصادية، التي كانت تعيق طموحاتهن الأدبية، من هذه

[1] محمد أفاية: الهوية والاختلاف-في المرأة والكتابة والهامش، دار أفريقيا الشرق، المغرب، (دط-دت)، ص26.

[2] مجاهد عبد المنعم مجاهد: جدل النقد وعلم الجمال، مرجع سابق، ص37.

العوائق تحريم التعبير عن الجوانب العاطفية الأنثوية، الأمر الذي يمنع الكاتبة من قص حقيق تجاربها الخاصة.[1]

وفي السبعينيات أيضا تطلع علينا "شووالتر" بكتابها الشهير(أدب يخصهن وحدهن)، وفيه تقسم الكاتبة النقد النسائي إلى منطقتين، سعيا منها لجعل المشروع النسائي أكثر دقة، المنطقة الأولى تهتم بالمرأة باعتبارها قارئة، بما يتركه هذا الاعتبار من آثار مهمة في فهم النص، وهو ما أسمته(نقد نسوي)، أما المنطقة الثانية فتهتم بالمرأة باعتبارها كاتبة، وفي هذه المنطقة تناقش المشكلات الخاصة بالإبداع النسوي ولغته، وهو ما أسمته نقاد الأدب النسائي، وكلا النوعين سياسي، وتكون الأولوية لديها لنقاد الأدب النسائي.[2]

لقد انطلق النقد النسوي من الإحساس بأن النساء المبدعات مهمشات من قبل التقليد الذي يهيمن عليه الرجال، كما انطلق كذلك من فرضية أن تجارب النساء في الوقت الحاضر لا ينبغي أن تحجب، بل ينبغي أن تبرز، وأن يعترف

[1] إلين شووالتر: زمن المرأة مكان المرأة (كتابة تاريخ النقد النسوي). ترجمة: ريهام إبراهيم. المجلس الأعلى للثقافة، 2002 22-23.

[2] ستيوارت سيم: النظرية النقدية. ترجمة: جمال الجزيري. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص164.

بها بصفتها تجارب تعادل الأهمية التي تعطى لتجارب الرجال، وهناك ثلاثة سبل للقيام بذلك.[1]

أ-إعادة اكتشاف الأعمال الأدبية المنجزة في الماضي من طرف النساء، وإحيائها ونشرها.

ب-رعاية الأعمال الجديدة.

ج-البحث عن "النوع الخاص" في الأعمال الأدبية أو الفنية النسوية، وفي العمليات الفكرية.

ويتمثل الهدف الجوهري للنقد النسوي في زحزحة المركزية الذكورية في السياسة، وفي الثقافة والتقاليد، وينقسم النقد النسوي إلى نوعين: النوع الأول يتولى دراسة الكتابة النسائية بالتحديد، ولكن قبل ذلك يبدأ بنقد كتب تاريخ الأدب الإنجليزي، التي أغفلت حق مائة قاصة إنجليزية لمعت أسماؤهن في القرن الثامن عشر، ولم تدرج أسماء الروائيات.[2]

[1] نصرة أحميد جدوع: النقد النسوي العربي المصطلح وأزمة الهوية http :altaakhipress، ص1.

[2] نفسه، ص2.

وقد انتهى التنظير الأمريكي إلى تقسيم الكتابة النسائية إلى ثلاثة أقسام: وهي.[1]

أ–الأدب النسائي هو كل ما تكتبه النساء.

ب–الأدب الأنثوي: وهو الأدب النسائي المهمش والمقموع الذي أخرسه النظام اللغوي والاجتماعي من غير أن يعلن رفضه للنسوية.

ج–الأدب النسوي الملتزم برفض السلطة الذكورية، ورفض التمييز بين الجنسين.

ولم يحض النقد النسوي باهتمام من طرف النقاد كما حظيت به باقي التيارات النقدية، لسببين:.

السبب الأول: باعتبار أنه مشروع إيديولوجي، فالنسوية مذهب فكري متعدد الأبعاد، لم يتحزب له عربيا نتاج عربي، وجدير بالدراسة يؤهله لإرساء أحكام ومعايير تميزه، ومرة باعتباره مشروعا تحريريا لم يحصد من الانتصارات ما يكفي، ولم تحشد ما تحشده في العامة مشاريع التحرير الأخرى المحكومة بقوامة الذكورة، تنغم الذكور النصر والسلطة، وتبقى الأنوثة تابعة ومملوكة، وإن شاركت فشراكتها هامشية أو ظرفية أو اتباعية، تماما كما في الكتابة والإبداع، يقتصر دورها فيها

[1] نفسه، ص4.

على الانفعال لا الفعل، بتوافق مدهش مع أحكام اللغة التي تميز فاعلية اسم الفاعل، وانفعالية اسم المفعول.[1]

والمرأة في التحرير مثل الأرض–التراب–الوطن، تلقى من التمجيد ما تلقاه هذه الرموز، كأنه لا كينونة لها خارج الترميز، على هذا النحو يمجد الإبداع الرجالي والنسائي المرأة، فينقلب وجودها إلى موضوع وجود، أو موضوع ملكية تحصن ضد الغير، لا على أنها وجود يقوم بذاته بل بغيره، فهي ابنة فلان وزوجة فلان وأم فلان، تستمد قيمتها وأحقية وجودها من نسب ذكوري.

يهتم النقد النسوي بدراسة أدب المرأة، فالمرأة هي التي تدرس أدبها، وهذا يساعدها أكثر في الانفتاح على النص وفك مغاليقه وشفراته المبهمة، ومنذ أن تنامت الحركة النقدية النسوية، وهي تمضي في نشاط متواتر لنقض وتقويض النظرية الذكورية، التي ترى بامتياز الرجل الثقافي، وامتلاكه لفحولة اللغة، وتقترح "ماري إلمان" إعادة النظر للرحم على أنه مستقل وفردي، ومقاومة التمييز الثقافي للمرأة والشعور بالدونية، وقد توالت معاول النقد النسوي لهدم البناء الذكوري المهيمن على اللغة والثقافة، ومقاومته بالفرار من النظرية كونها مذكرة دائما، فهي كائن تخلق في المؤسسات الأكاديمية، لذا هي ضمنا تحمل صفات الذكورة والفحولة، والمجال الفكري الطليعي الصعب، فالصرامة والعزم والطموح الوثاب تجد

[1] علي دوغمان: الكتابة النسوية بين التوقيع الجنسي والبحث عن هوية جنوسية، (مرجع سابق)، ص97–98.

ملاذها في مجال النظرية، وهي فضائل رجالية، بينما تجد الناقدات النسويات أنفسهن في منطقة رهيفة تعتمد على التفسيرات النقدية.[1]

وقد بدأت فكرة الجنوسة في الظهور عبر أسئلة "سيمون دي بوافور" في كتابها "الجنس الثاني"، حيث تقول: "إن المرأة تبدأ بتعريف نفسها "أنا امرأة"، بينما لا يلجأ الرجل لقول(أنا رجل)، ومن هنا يتضح أن المرأة تشعر أنها(الآخر)، بينما الرجل هو الواحد، ومن ثم صنع أيديولوجيا تساند هيمنته وترعاها على مر العصور".[2]

ومصطلح الجنوسة في مفهومه العام يهدف إلى التعريف بين الثقافة التي صنعت الفروق بين الرجل وبين الأصل البيولوجي لهما، وعلى ذلك فإن الأنثى هي مسألة جنس، بينما الأنوثة هي مسألة ثقافة، وهذه الثقافة صنعت اختلافا، ومن ثم خطابا خاصا يتسم بالمقاومة المدمرة للقيم الأدبية الرجالية السائدة، في محاولة لمقاومة هيمنة المجتمع الأبوي على المرأة، وأظهرت "مارجريت ميد" في دراستها الأنثروبولوجية أن الصفات التي توصف بأنها سلبية وتعزي المرأة يمكن أن تختلف اختلافا كبيرا لو أخضعت لثقافة معاكسة، فالمرأة بإمكانها أن تحب الحرب، بينما الرجل قد يحب السلام وفق الثقافة التي تطوعهما، وإن صفات المرأة التي

[1] فاطمة بنت فيصل العتيبي: السرديات النسوية، (مرجع سابق)، ص10.
[2] نفسه، ص10.

يصنفها الرجل على أنها صفات أنثوية طبيعية كـ"السلبية" مثلا، هي صفات ألصقتها الثقافة في المرأة وليست الطبيعة أو النوع.[1]

وفي ذلك ألفت الكاتبة "إلين شووالتر" كتابها الشهير "أدب خاص بهن"(1977)، وتذهب إلى أن للمرأة مضمونا مختلفا في أعمالها الأدبية، وإن هناك ملامح مشتركة بين الكاتبات ما يكفي لرسم تقاليد نسوية واضحة ومحددة.[2]

1-النقد النسوي العربي:

ولنا أن نتساءل إن كان هناك نقد نسوي عربي؟.

نعم توجد العديد من النساء اللاتي يضطلعن بمهمة النقد كتابة وتدريسا في مختلف الأوساط الأدبية العربية، لاسيما في الأوساط الجامعية، لكن المضمون الذي تدور حوله الأعمال النقدية لا يمت بصلة كبيرة إلى النقد النسوي، بمفهومه الفني القائم على الإحساس بقضية المرأة ووجودها، ودورها والمشكلات المتعلقة بها، غير أن هناك مشكلة تفرض تأثيرها ونحن بصدد الحديث عن أدب نسوي عربي ونقد مرتبط به، يتمثل في اختلاف الثقافات والملامح الفكرية والأيديولوجية للمجتمعات المتنوعة، فهناك فرقا شاسعا بين المجتمع العربي والمجتمعات الغربية فيما يتعلق بموضوع المرأة وحريتها وحقوقها، الأمر الذي يفرض اختلافا في البيئة

[1] مجاهد عبد المنعم مجاهد: جدل النقد وعلم الجمال، (مرجع سابق)، ص38.

[2] نفسه، ص38.

الفكرية المرتبطة بالهوية الثقافية التي تطبع كل أدب، إلى جانب تأثير العامل الديني في النقد النسوي، فالمرأة لا تستطيع المجاهرة بالأفكار الخاصة والحاجات والأمنيات في موضوعات حساسة كالجنس والدين، غير أن العولمة بكل ما يرتبط من أمور وتفكير غيرت خارطة التفكير البشري، وتحولت مسألة الاختراق الثقافي والفكري قضية لا يمكن إنكارها، مما يعني تحررا شكليا إذا ما قورن بمنجز النقد النسوي الغربي.[1]

وإذا ما عدنا إلى نماذج الإبداع النسوي الذي تبدو فيه المرأة ناقدة، نجد نوال السعداوي الكاتبة المصرية في أعمالها الروائية، بعيدا عن أفكارها المتطرفة في دعوتها للمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، والتي مست فيها أمورا حساسة في صلب الشريعة الإسلامية، وإذا ما نظرنا إلى طبيعة المرأة في كتابات السعداوي(مذكرات طبيبة)، والتي تتناول المرأة في صعيد مصر، نجد أنها تعكس فكرة مهيمنة نتبينها في واقع المرأة العربية، التي تتحمل جزءا من أسباب تراجعها بحكم الخضوع الكامل للعادات والتقاليد.[2]

2-علاقة النقد النسوي بالنظريات النقدية:

بداية لا بد من القول إن علاقة المرأة بالنظريات النقدية هي علاقة إشكالية وجدلية، لكن تتفق صاحبات النقد النسائي على ضرورة الربط بين النقد النسائي

[1] نصرة أحميد جدوع: النقد النسوي العربي المصطلح وأزمة الهوية، (مرجع سابق)، ص4.
[2] نفس المرجع.ص4.

والحركة النسائية، فقد نجحت الحركة النسائية في تطوير الوحدة بين الفعل السياسي والفعل الثقافي، وكل نظرية نقدية هي نظرية سياسية، بمعنى أنها تسعى دائما إلى التحكم في الخطاب، ومن هنا ارتبطت الحقبة الأولى من النقد النسائي بالحقبة الأولى من الحركة النسوية الأمريكية الحديثة في أواخر الستينات من القرن العشرين.[1]

وتأتي مهمة النقد النسائي في إقصاء القراءة الأبوية، وإحلالها بنوع آخر أكثر صحة يفرض نفسه، ويكون له حضور مساو للقراءة البطريكية التي تعكس رؤية الرجل، حتى وإن كان منها ما يشير إلى القضايا المتعلقة بالمرأة، ذلك أن الامتيازات التي تمنحها هذه النظريات للرجل لا يعقل أن يتنازل عنها الرجل بسهولة لصالح المرأة.[2]

عموما تفضل هؤلاء الناقدات الابتعاد عن ثبوتية وقطعية النظرية، ويدعون إلى خطاب أنثوي حر، غير مقيد بتراث نظري معترف به، مهمته تحليل أدب المرأة، وتطوير نماذج وأشكال حديثة، قائمة على دراسة تجربة المرأة وخبرتها بعيد عن النظريات التي وضعها الرجل، وهو ما تؤكد عليه "شووالتر"، اعتقادا منها أنه

[1] حنان إبراهيم: مساهمة النساء في تطوير مناهج الفكر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص95.

[2] نفس المرجع، ص-91.

لا يجوز تبني نظرية على الإطلاق، فالنظريات في المؤسسات الأكاديمية مذكرة دائما.[1]

إلا أن بعض الناقدات النسويات يخالفن "شووالتر" في رؤيتها، ويرون أن الانخراط في حقل النظرية، وتطوير خطاب معرفي ومنهجي خاص بالمرأة ضرورة ملحة لخدمة قضايا المرأة، بل نجد منهن من تطرح إمكانية استغلال هذه النظريات لصالح الأدبية النسوية، وهو ما فعلته "توريل موي"، إذ لا يوجد برأيها خيار يتعلق بموضوع التنظير، فمجموعة النظريات التي يشرف عليها الرجل ما بين(سيميائية، ماركسية، بنيوية) مفيدة للحركة الأدبية النسوية.[2]

خاتمة:

يعد مصطلح النسوية من أهم مصطلحات النقد النسوي وهو مصطلح واسع وفضفاض فه خاص بكل ما يتعلق بشرون المرأة في النصوص الأدبية من كل الجوانب التاريخية والاجتماعية الثقافية التي تناولت موضوع المرأة بالدراسة والتحليل ، ومصطلح النسوية لا يعني فقط ما تكتبه المرأة بنفسها وإنما يندرج في حقل النقد النسوي ما يكتبه الرجل أيضا عن المرأة وتاريخها ، غير أن المرأة ترة الأشياء بمنظور مختلف فهذه الرؤية تتعلق بالذات الأنثوية التي تختلف عن رؤية الرجل لها، وتبقى الأنثى تحظى بعالمها الخاص المنفرد.

[1] نفس المرجع، ص91.

[2] نفس المرجع، ص92.

قائمة المراجع:

1. أحلام معمري: إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة.
2. إلين شووالتر: زمن المرأة مكان المرأة (كتابة تاريخ النقد النسوي). ترجمة: ريهام إبراهيم. المجلس الأعلى للثقافة، 2002.
3. حسام الخطيب: الرواية النسائية في سورية، مجلة المعرفة، ع166، كانون الأول، 1975.
4. حنان إبراهيم: مساهمة النساء في تطوير مناهج الفكر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2002 .
5. رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة، دار أفريقيا الشرق، المغرب1994.
6. ستيوارت سيم: النظرية النقدية. ترجمة: جمال الجزيري. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
7. صبري حافظ: صورة الرجل في روايات المرأة العربية، دار المرأة العربية للنشر، بيروت1996.
8. عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير–من البنيوية إلى التشريحية–قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، ط2، القاهرة، الكويت، دار سعاد الصباح، 1993.
9. عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، بيروت، 2006.
10. علي دوغمان: الكتابة النسوية بين التوقيع الجنسي والبحث عن هوية جنوسية، www. Seminaire ecriture.

11.فاطمة بنت فيصل العتيبي: السرديات النسوية–دراسة تطبيقية على روايات رجاء عالم–رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود بالرياض، السعودية،2009 .

12.كارمن بستاني: الرواية النسوية الفرنسية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع34،1985.

13.مجاهد عبد المنعم مجاهد: جدل النقد وعلم الجمال، ج1، دار الثقافة، القاهرة، 1990.

14.محمد أفاية: الهوية والاختلاف–في المرأة والكتابة والهامش، دار أفريقيا الشرق، المغرب، (دط–دت).

15.نصرة أحميد جدوع: النقد النسوي العربي المصطلح وأزمة الهوية http :altaakhipress.

16.يسري مقدم: مؤنث الرواية (الذات–الصورة–الكتاب)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.